نهج البلاغة؛ منهل الفكر الكلامى، والتاريخى، والدينى للشيعة

يُعَدّ الشريف الرضى (٣٥٩- ٤٠٦) إحدى الشخصيات الشيعية التى تجمع الجانب التعليمى، والثقافى، والأدبى، والكلامى، والتفسيرى معا. وكان والده الشريف حسين بن موسى الموسوى (م ٤٠٣) يتمتع بمكانة بارزة فى بغداد فى القرن الرابع، وقد تولى لسنين إمارة الحج ونقابة الطالبيين.

كما يُعَدّ أخوه الشريف المرتضى (م ٤٣٦) من نخبة الفقهاء والمتكلمين الشيعة، وكان خليفة الشيخ المفيد (٤١٣ م) فى الحفاظ على مراكز العلم والتقوى ومرجعية الشيعة الإمامية . أما والدته فكانت من أح فاد ناصر الأطروش . وبدأت أسرته بالمذهب الزيدى، إلا أنها تمذهبت لاحقا بالمذهب الإمامى.

كان الشريف الرضى يُعَدّ شاعرا من الطراز الأول، ومفسرا موهوبا، ومتكلما رفيعا . ومع أن حياته لم تستمر أكثر من سبع وأربعين سنة، إلا أنه ترک عملا خالدا باسم نهج البلاغة، أتحف بتراث الشيعة. وإلى جانب أبيه وأخيه، شد الرحال إلى الحج ومناطق أخرى أكثر من مرة . وقد عزم حج بيت الله الحرام سنة ٣٩٢ هـ عندما كان يتولى منصب إمارة الحج . وقام برحلة إلى المدائن سنة ٣٩٧ هـ وأنشد قصيدة عن أطلال الصروح الساسانية . كما توجه مرات عديدة إلى زيارة العتبات المقدسة، ومقام الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء. هذا وقد تولى نقابة الطالبيين لسنين طويلة، وأشرف على ديوان المظالم. ومع وجود الضغوط التى كانت تمارسها سلطة العباسيين، إلا أنه لم يقبل يوما ما بالتشكيک فى سيادة الخلفاء الفاطميين.وما قام به الشريف الرضى من جمع وتدوين لنهج البلاغة، يُعَدّ من أبرز أعماله الثقافية، بل من أبرز ما أنجز على مر تاريخ الشيعة. وهذا الأثر هذا قد استرعى انتباه العديد من كبار الشخصيات طيلة التاريخ الإسلامى، وهو من الأهمية بمكان، لم تجعله وثيقة أدبية فقط، بل تعدى ذلک ليصبح وثيقة د ينية- مذهبية؛ وفى كلمة واحدة، فإنه مصدر ثمين لفهم الإسلام من منظار الإمام على عليه السلام . ويحتوى نهج البلاغة على مجموعة مختارة من الخطب (٢٤١ خطبة)، والكتب والوصايا (٧٩ كتاب ووصية)، والحكم والمواعظ (٢٦٠ حكمة).كان الشريف الرضى يهدف من وراء عمله هذا اختيا ر قسم من أقوال الإمام على كنصوص تمتاز بالبلاغة والبيان . إلا أن الدعامة التى كانت تقف وراء هذا الكلام البليغ من الناحية الفكرية، والأدبية، جعلته جوهرة مشعة بين المصادر الدينية والمعارف الإسلامية، لاسيما فى وجهة النظر الشيعية.وبالطبع فإن ما صدر عن الإمام من أقوال فى حياته، هو أكثر بكثير مما جمعه الشريف الرضى فى نهج البلاغة، وقد اهتم بجمعها وتدوينها عدد من الباحثين قديما وحديثا، منهم العلامة محمد باقر الحمودى فى «نهج السعادة فى مستدرک نهج البلاغة».

وكانت مكانة نهج البلاغة بين الآثار الإسلامية القديمة بمكان ،بقيت منه المئات من المخطوطات القيمة القديمة التى تزين الآن بعض المكتبات فى إيران وبلدان أخرى . وتضم مكتبة آية الله المرعشى النجفى عددا من أفضل هذه المخطوطات.

ومن بين أقدم ما لدينا من مخطوطات نهج البلاغة، هى نسخ كتبت فى هذه التواريخ: ٤٦٩، ٤٨٥، ٤٩٤، ٥١٠، ٥١٢، ٥٢٩، ٥٣٨، ٥٤٤، ٥٥٣، ٥٥٦، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٧٣، ٥٨٨، ٥٩١. ثم إن لدينا عشرات المخطوطات تعود إلى القرن الخامس والسادس لم نعرف تاريخ كتابتها؛ وهى بحسب الخبراء، تعود إلى هذين القرنين. وفيما يتعلق بطباعة نهج البلاغة، فقد تعددت وكثرت، بحيث قدمت ملايين النسخ من هذا ا لكتاب إلى المسلمين فى العالم. ومن أحسن ما طبع منه، أنجز على يد عدد من علماء أهل السنة مثل الشيخ محمد عبده، والدكتور صبحى صالح.

وبلغت عظمة هذا الكتاب ومكانته حدا، جعلت العشرات، بل المئات من كبار الكتاب، والباحثين يقبلون على شرح وتفسير مفاهيمه، وبيان عباراته البليغة ومعانيه الدقيقة.

وإحدى ميزات نهج البلاغة التى جعلت منه أثرا خالدا – بغض النظر عن الجانب الأدبى الذى لعب دورا مهما فى هذا الشأن– تتمثل فى الاعتدال الكائن فى فكر السيد الرضى، والتى قام على أساسها بجمع أقوال الإمام على عليه السلام . وقد بذل قصارى جهده للسير على خطى جده الطاهر فى اتخاذ سبيل الاعتدال، والعمل على وفق مبدأ التقى ة الإسلامية النموذجيّ والعقلانية. وهذا الابتعاد عن التطرف، هو ما أوجد لهذا الأثر مكانة لائقة بين الجميع، وجعل الأفكار الخالدة للإمام على عليه السلام فى ساحة المعارف التوحيدية تتسرب فى عمق كيان المجتمع الإسلامى شيعة وسنة . أما سببه الرئيس، فيكمن فى أن ما جاء فى هذا الكتاب هو أكثر حقائق الإسلام أصالة، وأعدل التحليلات التاريخية، دون أن تتخللها أى تشهير وطعن.

شراح نهج البلاغة فى القرن السادس والسابع

سبق وقلنا بأن الأهمية التى يتمتع بها نهج البلاغة، وقيمته الأدبية، وسمو ما يحتويه من أقوال أمير المؤمنين عليه السلام، أدى إلى قيام عدد من المحققين المسلمين بشرح وتفسير مفاهيمه ومعانيه . ومنذ زمن الشريف الرضى كتبت هذه الشروح والتفاسير، وتواصلت حتى الآن. وهى من السعة والتفصيل بمكان، شهدت انجاز عدة دراسات على أيدى نخبة من العلماء والمحققين فى هذا الشأن؛ منهم المحدث النور ى فى خاتمة المستدرک، والسيد محسن الأمين فى أعيان الشيعة (٢٤٥/٨)، والعلامة الأمينى فى الغدير (المجلد الرابع بتسعة وثمانين شرحا)، وآقا بزرک الطهرانى فى الذريعة (١٤/ ١٦١– ١١١)، والأستاذ عبد العزيز الطباطبائى فى مجلة تراثنا.ويرى بعض الباحثين بأن السيد فضل الله الراوندى هو أول من قام بشرح نهج البلاغة؛ وكان الراوندى قد ترک بلدته كاشان متجها إلى بغداد طلبا للعلم . وقد كتب توضيحاته على النسخة التى كان قد كتبها السيد الرضى سنة ٥١١ هـ ونقدم هنا عددا من شروح نهج البلاغة، ألفت فى القرن السادس والسابع. وتجدر الإشارة إ لى أن كتابة الشروح على نهج البلاغة لم تنقطع حتى فى يومنا هذا، إذ نشر شرحان كبيران تحت عنوان «بهج الصباغة» من تأليف العلامة محمد تقى التسترى (م ١٣٧٤ شـ)، و«شرح نهج البلاغة» بقلم العلامة محمد تقى الجعفرى (م ١٣٧٧ شـ).

السيد فضل الله الرواندى	من علماء الشيعة البارزين فى القرن السادس ،تتلمذ على يده مجموعة من مفاخر علماء الشيعة ،مؤسس المدرسة المجدية فى كاشان (متوفى سنة٥٧٢)كتبت سيرته سنة ٧٣٢ بيد احمد بن أبى طالب ونسخة هذا الكتاب موجودة فى المكتبة المرعشية(ش ٢٧٣)
احمد بن احمد الوبرى الخوارزمى الحنفى (القرن السادس)	سيرته فى كتاب معارج نهج البلاغة للبيهقى (مكتوب سنة ٥٥٢) ونقل منه سبعين مورد
ظهير الدين على بن زيد الأنصارى البيهقى (٤٩٣-٥٦٥)	من كتّاب الشيعة الكبار بقيت من اثاره تاريخ البيهقى ولباب الانساب والف كتاب فى نهج البلاغة وشرحه سماه معارج نهج البلاغة فى سنة ٥٥٢ وطبع فى قم سنة ١٤٠٩
قطب الدين ابى الحسن سعيد بن عبدالله الرواندى (م٥٧٣)	من علماء الشيعة المعروفين فى القرن السادس كاتب له آثار كثيرة منها الخرائج والجرائح منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة الذى استفاد منه ابن ابى الحديد وقد طبع ه ذا الكتاب بثلاثة أجزاء
افضل الدين ماهاباد من علماء القرن السادس الهجرى	من علماء ماهاباد كاشان الذين كان أهلها شيعة أمامية ،ولم يبق شئ يذكر عن سيرته لكن ذكربعض العلماء ان لديه شرحا لنهج البلاغة (فهرست منتخب الدين :ش٩٣)
فخر الدين الرازى (٥٤٤-٦٠٦)	عالم ومتكلم مشهور وردت سيرته فى المصادر من جملتها تاريخ الحكماء للقفطى :١٩٠ وقيل له شرح لنهج البلاغة وقيل لم يتمه
قطب الدين محمد بن الحسين البيهقى النيشابورى الكيدرى (حي في سنة ٦١٠)	عالم مشهور وأديب معروف لديه آثار كثيرة فى الأدب والكلام والطب .فلديه كتاب فى شرح نهج البلاغة اسمه حدائق الحقائق فى تفسير دقائق افصح الخلائق ،و قد استفاد من الشروح السابقة مثل كتاب المعارج ومنهاج البراعة
صدر الدين على بن ناصر الحسينى السرخسى المقيم فى نيشابور من اعلام القرن السادس والسابع (حي في ٦٢٢)	مؤلف كتاب زبدة التواريخ فى أخبار الأمراء والملوک السلجوقية .أعلام نهج البلاغة مختصر ادبى وكلامى لنهج البلاغة والكتاب قد طبع
ابن ابى الحديد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المعتزلى الشافعى البغدادى (٦٥٦-٥٩٠)	من اسرة علمية سكنت بغداد .وشرح كتاب نهج البلاغة أهم تأليفاته التى عرف بها طبع هذا الكتاب المهم بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم بعشرين مجلد وكتب علية أكثر من شرح حتى الآن ويعد هذا الشرح أكثر الشروح تفصيلاً من القدم حتى الان فهو شرح ادبى كلامى تاريخي ...وترجم ولخص أكثر من مرة إلي الفارسية
ابن ميثم البحرانى كمال الدين أبو الفضل ميثم بن على بن ميثم البحرانى (٦٣٢-٦٩٩)	فيلسوف وشاعر وعارف شيعى بحراينى وكاتب له مباحث كثيرة فى الآداب والمعارف الدينية شرحه لنهج البلاغة هو كتاب مصباح السالكين وقد طبع أكثر من مرة واختصر الكتاب ايضاً من قبل المؤلف باسم اختيار مصباح السالكين ونسخة الكتاب موجودة